جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بأسيوط
المجلة العلمية

الإدارة الإسلامية وتعاملها مع طاعون عمواس(نقد وتحليل للروايات)

Islamic Administration And Its Dealing With The Plague Of Emmaus (Criticism And Analysis Of Narrations)

إعداد

د/ أحمد سعود الحسن

قسم التاريخ والآثار، كلية الآداب، جامعة الكويت.

(العدد الرابع والأربعون)
(الإصدار الأول-فبراير)
(الجزء الثالث (١٤٤٦هـ /٢٠٢٥م)

الترقيم الدولي للمجلة (ISSN) *2536- 9083*
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية : ٢٠٢٥/٦٢٧١م

الإدارة الإسلامية وتعاملها مع طاعون عمواس
(نقد وتحليل للروايات)

أحمد سعود الحسن

قسم التاريخ والآثار، كلية الآداب، جامعة الكويت.

البريد الإلكتروني: *rtuygjh7@gmail.com*

الملخص:

ظهر طاعون عمواس في فلسطين في عهد عمر بن الخطاب، وكان لهذا الطاعون أثر خطير على جيش المسلمين حيث بلغت وفياته بالألوف , فالدراسة تناولت المكان والزمان الذي ابتدأ فيه الطاعون وأعراضه ودور القيادة العسكرية في بلاد الشام في التعامل معه , والإجراءات التي اتخذتها دار الخلافة لمواجهته ثم التخلص من آثاره استنادا إلى المصادر الأصلية التي تناولت الموضوع، وتوصلت الدراسة إلى نتائج متعددة منها: إن طاعون عمواس كان وباء خطيرًا لم تقتصر آثاره على الجانب الصحي بل أيضا على الجانب العسكري حيث كاد أن يقضي على الجهود العظيمة التي أدت إلى فتح الشام من أيدي الروم، إن الاجراءات التي اتخذتها القيادة العسكرية لجيش الشام المتمثلة في عمرو بن العاص استطاعت أن تحافظ على حياة من تبقى من الجيش ما أدى إلى وجود جيش قادر على مواجهة أي تهديدات رومانية محتملة لاستعادتها من أيدي المسلمين، إن التدابير الوقائية العسكرية والإدارية والمالية التي اتخذها الخليفة عمر بن الخطاب تمكنت من استقرار الفتح واستمرار سيطرة الدولة الاسلامية على بلاد الشام ما أدى إلى القضاء على جميع آثار طاعون عمواس.

الكلمات المفتاحية: طاعون، عمواس، أمراض، إدارة.

Islamic Administration and Its Dealing with the Plague of Emmaus

(Criticism and Analysis of Narrations)

Ahmed Saud Al-Hassan
Department of History and Archaeology, Faculty of Arts, Kuwait University.

Email: *rtuygjh7@gmail.com*

Abstract:

The Plague of Emmaus appeared in Palestine during the reign of Omar bin Al-Khattab, and this plague had a serious impact on the Muslim army as its deaths reached thousands. The study dealt with the place and time in which the plague began, its symptoms, and the role of the military leadership in the Levant in dealing with it, and the measures taken by the Caliphate to confront it and then get rid of its effects based on the original sources that dealt with the subject. The study reached several results, including: The Plague of Emmaus was a dangerous epidemic whose effects were not limited to the health aspect but also to the military aspect as it almost destroyed the great efforts that led to the conquest of the Levant from the hands of the Romans. The measures taken by the military leadership of the Levant Army, represented by Amr ibn al-Aas, were able to preserve the lives of the remaining army, which led to the existence of an army capable of confronting any potential Roman threats to reclaim it from the hands of the Muslims. The preventive military, administrative and financial measures taken by Caliph Omar ibn al-Khattab were able to stabilize the conquest and continue the control of the Islamic state over the Levant, which led to the elimination of all traces of the Plague of Emmaus.

Keywords: *Plague, Emmaus, Diseases, Administration.*

الطاعون بين اللغة و الاصطلاح

قال الجوهري في التعريف اللغوي لكلمة الطاعون: " الطاعون بوزن فاعول من الطعن، ويقال: طعن فهو مطعون طعين؛ إذا أصابه الطاعون " وأما تعريف الطاعون اصطلاحا فهو" مرض يعم الكثير من الناس في جملة من الجهات بخلاف المعتاد من أمراض الناس، ويكون مرضهم واحدًا بخلاف بقية الأوقات فتكون الأمراض مختلفة"(١).

أعراض الطاعون:

ذكرها ابن سينا فقال: "الطاعون مادة سمية تحدث ورما قتالاً يحدث في المواضع الرخوة والمغابن(٢) في البدن وأغلب ما تكون تحت الإبط أو خلف الأذن أو عند الأرنبة"(٣).

وقال غيره: إن الطاعون "قروح تخرج في الجسد فتكون في المرافق أو الآباط أو الأيدي أو الأصابع وسائر البدن ويكون معه ورم وألم شديدان ، وتخرج تلك القروح

---

(١) الآبادي محمد شمس الدين ,عون المعبود شرح سنن أبي داود (دار الفكر)ج٨ ,ص ٣٦٧ , و انظر أيضا في تعريف الطاعون الجوهري إسماعيل بن حماد , مختار الصحاح (بيروت , ١٩٨٤) ج٦ , ص ٢١٥٦ , الأزهري محمد بن أحمد , تهذيب اللغة (الدار المصرية) ج٦ , ص ١٧٨ , إسماعيل بن عباد , المحيط في اللغة (بيروت , ١٩٩٤) ج١ , ص ٤٠٦ , ابن حجر أحمد بن علي العسقلاني , بذل الماعون في فضل الطاعون(الرياض , ١٤١١)ص ٩٥-١٠١.

(٢) المغابن : "الآباط و الأرفاغ وما أطاف بها " انظر ابن سيده علي بن إسماعيل , المخصص في اللغة (دار الكتب العلمية) ج٧ , ص ٥٠ .

(٣) الآبادي , عون المعبود , ج٨ , ص ٣٦٧ , ابن حجر , فتح الباري شرح صحيح البخاري (دار الفكر , ١٩٩٣) ج١١ , ص ٣٣٢ .

مع لهيب، ويسود ما حواليه أو يخضر أو يحمر حمرة بنفسجية كدرة ويحصل معه خفقان القلب والقيء"[١]،والطاعون مرض معد ، وذلك لانتقاله من شخص إلى آخر وانتشاره بين الناس في المكان الواحد، وهذا الانتقال يكون سريعاً جداً، قال عمرو بن العاص لما رأى انتشار الطاعون في عمواس : إن " هذا الوجع إذا وقع إنما يشتعل اشتعال النار "[٢] .

ومن خلال استقراء أحداث طاعون عمواس[٣] نجد أنه يبدأ على شكل بثور حيث ورد أنه "خرجت بأبي عبيدة في خنصره بثرة " ثم هذه البثور تنتشر في الجسد وتؤدي إلى ضيق في التنفس حتى تنتهي بالوفاة[٤] ، وأما عن مدة احتضان المريض للمرض منذ إصابته به إلى وفاته فيبدو أنها ليست إلا أياما قليلة؛ حيث يستشف من الروايات الكثيرة بمن أصيب بهذا المرض في عمواس سرعة وفاتهم[٥] ، ومما يعضد

---

(١) النووي يحيى بن شرف الحوراني , شرح النووي على صحيح مسلم (دار الفكر, ١٩٩٥) ج١٤ , ص ١٦٨.

(٢) الطبري محمد بن جرير , تاريخ الأمم والملوك (بيروت) ج٤ , ص ٦٢.

(٣) الطواعين في صدر الإسلام: يعتبر طاعون عمواس أول طاعون ظهر في بلاد الإسلام، وقد تبعه عدة طواعين في صدر الإسلام، منها : طاعون في الكوفة سنة ٥٠ هـ/٦٧٠م ، طاعون في مصر سنة ٦٦هـ/ ٦٨٥م, طاعون في البصرة سنة هـ٦٩/ ٦٨٨م ، طاعون "الفتيات " أو "الأشراف" سنه ٨٧هـ/ ٧٠٥م، وقد بدأ في مدينة البصرة ثم انتشر في مدينة الكوفة وواسط والشام ، طاعون عدي بن أرطأة " سنة ١٠٠هـ/ ٧١٨م , طاعون "الجارف" سنة ١١٩هـ/ ٧٣٨م , طاعون "غراب" سنة ١٢٧هـ /٧٤٤ م, وطاعون مسلم بن قتيبة سنة ١٣١هـ / ٧٤٨ م. انظر النووي ، شرح مسلم , ج١،ص ٩٦ ، ٩٧، وانظر التفصيل ابن حجر ، الطاعون، ص ٣٦١-٣٧٠.

(٤) ابن عساكر علي بن حسن الدمشقي, تاريخ مدينة دمشق(بيروت , ١٩٩٥)ج٢٥,ص ٤٨٥.

(٥)الطبري , تاريخ , ج٤ , ص ٦٠ و ما بعدها.

سرعة انتشار المرض وسرعة وفاة من يصيبه أن التحية والسؤال –حسب بعض الروايات– "كيف أصبحت وكيف أمسيت" ظهرت أثناء انتشار طاعون عمواس [١].

تعريف كلمة "عمواس":

اختلفت المصادر في تعريف كلمة عمواس الذي سمى بها الطاعون إلى معنيين، أحدهما: جغرافي والآخر: لغوي، فمن نسبه إلى عمواس كمكان اعتبر أن هذا الطاعون ابتدأ في منطقة عمواس، وهي قرية أو ضيعة أو كورة في فلسطين تقع بالقرب من بيت المقدس[٢]، وأما لفظ كلمة عمواس كمنطقة جغرافية ففيها أربعة ألفاظ إما عَمَواس بفتح العين والميم [٣] أو عَمْواس بفتح العين وسكون الميم[٤] أو عِمْواس بكسر العين وسكون الميم[٥] أو عمواس بكسر العين و فتح الميم[٦] ومَن نسبه إلى لفظ لغوي ذكر أن سبب هذه التسمية ترجع الى أن الطاعون " عم وآسى أي جعل بعض الناس أسوة بعض[٧] أو "عم الناس وتواسوا به"[٨] ولكن يظهر أن نسبته إلى المنطقة أقرب إلى الصواب؛ حيث تؤكد المصادر أن هذا الطاعون ظهر

---

(١) الغزالي أبو حامد محمد بن محمد, إحياء علوم الدين (بيروت , ١٩٩٩) ج٢ , ص ٣١٣.

(٢) عبدالله بن عبد العزيز البكري، معجم ما استعجم(بيروت،١٩٨٣) ج٣ ص٩٧٠، ياقوت الحموي، معجم البلدان(بيروت، ١٩٧٩)ج٤، ص١٥٧.

(٣) البكري، معجم، ج٣، ص٩٧١، ياقوت، معجم، ج٤ ، ص ١٥٧.

(٤) الزرقاني محمد بن عبد الباقي، شرح الزرقاني على موطأ مالك (دار الفكر) ج٤ ، ص ٢٣٦.

(٥) ياقوت، معجم، ج٤، ص ١٥٧.

(٦) نفسه.

(٧) عبدالرحمن بن الخطيب السهيلي، الروض الأنف في السيرة النبوية (دار الكتب العلمية، ١٩٩٨) ج٢، ص ٢٨٧.

(٨) النووي، شرح مسلم، ج١، ص ٩٧.

ابتداء في منطقة عمواس[١].

عدد وفيات طاعون عمواس:

اختلفت المصادر في تحديد عدد وفيات الطاعون وذكر أن الأعداد تتراوح ما بين خمس وعشرين ألفًا إلى ثلاثين ألفًا[٢] , من إجمالي عدد الجيش البالغ الستة والثلاثون[٣] , كما دلّت على كثرة الموتى فيه بعبارات ،، منها : "كانت القبيلة تموت بأسرها" [٤] ، وأن "أهل البيت يموتون جميعا "[٥] , و""كان ذلك الطاعون موتانًا لم ير مثله" [٦] , و"مات فيه خلق كثير لا يحصى من الصحابة " [٧] , و" فنى خلق كثير من الناس " [٨] ، ولكن على الرغم من تحديد بعض المصادر لإحصاءات معينة وتعضدها بروايات تعبر عن كثرة الموت في الطاعون ، إلا أنه يظهر أن عدد الوفيات لم يبلغ الأعداد أو التقديرات السابقة بل في أحسن تقدير لا يتجاوز العشرة الآلاف أو ما بين الربع إلى ثلث الجيش ، وليس معظم الجيش ؛ لأنه على الرغم من أن عدد الوفيات قد أضعف قوة جيش الشام ، ولكنه ظل يحتفظ بعدد كاف قادر على مواجهة أي تهديدات من بلاد الروم؛ حيث لا نجد أن دار الخلافة عّززت تواجدها

---

(١) البكري، معجم، ج٣ ، ص ٩٧١ وقال: (وهي التي ينسب إليها الطاعون لأنه بدأ منها)، ياقوت، معجم، ج٤، ص ١٥٧.

(٢) ابن عساكر، تاريخ دمشق، مختصر محمد بن مكرم بن منظور (دمشق، ١٩٨٨) ج١١، ص٢٧٤، ياقوت، معجم، ج٤، ص ١٥٨.

(٣) ابن عساكر، دمشق, ابن منظور, ج١١، ص٢٧٤.

(٤) أحمد بن الحسن البيهقي، السنن الكبرى (دار الفكر) ج٩ ، ص٢٦٤.

(٥) ابن أبي شيبة عبد الله بن محمد ، مصنف ابن أبي شيبة، (دار الفكر) ج٧ ، ص٣٧٢.

(٦) الطبري، تاريخ، ج٤، ص٦٣.

(٧) ياقوت، معجم، ج٤ ، ص ١٥٧.

(٨) ابن كثير اسماعيل بن عمر الدمشقي، البداية والنهاية (بيروت، ١٩٩٥) ج٧ ، ص ٧٩.

العسكري لضمان استمرار السيطرة على بلاد الشام بإرسال أعداد من الجنود بديلاً عن الذين ماتوا في الطاعون، وكذلك فإن الروم على الرغم من أنهم كانوا يتربصون ببلاد الشام، وينتظرون الفرصة لاسترجاع ما فقدوه غير أن المصادر لم تذكر أي تحرك عملي للروم بهذا الاتجاه سوى أن المسلمين تخوفوا من هجوم الروم(١).

تاريخ طاعون عمواس ومدة مكثه بين الناس :

اختلفت المصادر في تحديد السنة التي وقع فيها هذا الطاعون , فقد ورد أنه كان في سنة ١٤هـ / ٦٣٥ م(٢) أو ١٥هـ / ٦٣٦م (٣) أو ١٧ هـ/ ٦٣٧م(٤) أو ١٨هـ / ٦٣٨ م(٥) , وأما مدة مكث هذا الطاعون فتعددت فيه الروايات أيضاً ما بين شهر واحد إلى عدة أشهر(٦) .

انتشار الطاعون :

إن تسمية الطاعون باسم طاعون عمواس لا يعني أنه كان منحصراً في منطقة عمواس؛ حيث إن التسمية ترجع باعتبار أن الطاعون ابتدأ فيها، وليس مقصوراً عليها ثم انتشر في بلاد الشام (٧)، وما يؤكد انتشاره في بلاد الشام أن عمر بن الخطاب لما قدم إلي بلاد الشام التقى بأمراء الأجناد في " سرغ " –وهي قرية في

---

(١) الطبري، تاريخ، ج٤ ، ص ٦٣.

(٢) ابن عبد البر يوسف بن عبد الله القرطبي، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (مؤسسة الرسالة) ج٢، ص ٢٧٥.

(٣) نفسه.

(٤) الطبري، تاريخ، ج٤، ص ٥٦،٥٧.

(٥) نفسه, ص ٦٠،٦١. وهي السنة التي رجحها ابن كثير ، البداية، ج٧،ص ٧٩.

(٦) نفسه, ص٥٨ ، ٦٣.

(٧) البكري، معجم، ج٣، ص ٩٧١ ، ياقوت، معجم، ج٤، ص ١٥٧.

منطقة تبوك-[١] التي كان قد وصل إليها الطاعون فأخبروه بانتشار الطاعون حتي لا يتوغل في بلاد الشام فيصيبه المرض[٢].

مكان الجيش عندما أصيب بالطاعون :

أوردت المصادر أن الجيش كان في الأردن[٣] دون تحديد لمكان معين فيها وورد أيضا أنه كان في منطقة الجابية[٤] ، وهي قرية قريبة من دمشق[٥] وكذلك في منطقة عمواس, والمرجح أنه كان في منطقة عمواس بفلسطين, فقد عرف واشتهر هذا الطاعون بهذا الاسم ما يتضمن إشارة إلى ارتباط إصابة الجيش بالطاعون في هذه المنطقة[٦] , وأيضا لما ورد في بعض الروايات أن قائد الجيش أبا عبيدة بن الجراح بعد وفاته بسبب الطاعون دفن في هذا المكان[٧](٣٨) ويؤكد ذلك أيضا قول عمر بن الخطاب أنه لما أراد أن يزور الشام بعد الطاعون "ضاعت مواريث أهل عمواس فأبدأ بها" [٨].

---

(١) ياقوت، معجم، ج٣، ص ٢١٢.

(٢) الطبري، تاريخ، ج٤، ص٥٧.

(٣) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٢٥، ص ٤٨٥.

(٤) الزمخشري محمود بن عمر ، الفائق في غريب الحديث (دار الكتب العلمية ,١٩٩٦) ج٢،ص٤٤٤.

(٥) الجابية: قرية من أعمال دمشق ثم من عمل الجيدور من ناحية الجولان قرب مرج الصُفَّر شمال حوران" ياقوت، معجم ج١، ص ٩١.

(٦) الطبري، تاريخ، ج٤، ص ٥٩ وما بعدها.

(٧) ابن عساكر، تاريخ دمشق ج٢٥، ص ٤٩١.

(٨) الطبري، تاريخ، ج٤، ص ٥٩.

سبب مرض الطاعون :

لا تشير المصادر بوضوح إلى السبب الرئيسي لظهور الطاعون وانتشاره إلا أنه يبدو أن سبب الطاعون يتعلق في طبيعة المكان الذي كان معسكرا فيه الجيش حيث وصفت بأنها " أرض غمقة " ، وهي الأرض القريبة من النبات والماء والكثيرة الندى ، فلا يجف نباتها بسبب بللها بالندى والماء طول العام، فينشأ عن ذلك فساد الهواء وظهور الوباء(١).

طبيعة تعامل قادة الجيش مع الطاعون في بلاد الشام:

عندما ظهر الطاعون بين الجنود في عمواس، وأخذ في الانتشار لم تتخذ قيادة الجيش المتمثلة في أبي عبيدة بن الجراح في بداية الأمر أي إجراء وقائي كالتحرك مثلاً إلى مكان آخر، ولعل سبب ذلك قناعة أبي عبيدة اعتبر أن الموت بسبب هذا الطاعون شهادة ، وبعد إصابته بالطاعون ولّى بعده معاذ بن جبل الذي كانت رؤيته تتطابق تماماً مع رؤية أبي عبيدة ولم يتخذ كذلك أي إجراء للتخلص من هذا المرض ، ولمّا أصيب بالطاعون استخلف بعده عمرو بن العاص الذي كانت نظرته تختلف عن سابقيه ورفض الاستسلام للطاعون ؛ لكي يستأصل الناس إن كان هناك فرصة لإنقاذ حياتهم(٢).

طبيعة تعامل الخليفة عمر بن الخطاب مع طاعون عمواس:

يُلاحظ أن عمر بن الخطاب كان له طريقتان في التعامل مع الطاعون ، أحدهما: أثناء انتشار الطاعون ، والآخر: بعد نهايته.

---

(١) نفسه, ص٦١، ابن منظور محمد بن مكرم، لسان العرب (القاهرة) ج٥، ص ٣٣٠٠، الزمخشري، الفائق, ج٢، ص٤٤٤.

(٢) الطبري، تاريخ , ج٤، ص ٦١، ٦٢.وانظر الهوامش ٥٤-٥٨ فيما يتعلق بنهاية الطاعون.

فأثناء انتشار الطاعون في بلاد الشام نجد للخليفة عمر ثلاثة مواقف :

الأول عندما كان في طريقه إلى الشام ليتفقد أحوال الرعية ولكن أمراء الجيوش التقوا به في الطريق في منطقة (سرغ)- وهي قرية في منطقة تبوك- وذلك قبل أن يتوغل في بلاد الشام، وأخبروه أن الوباء ظهر في بلاد الشام ؛ ليأخذ قراره سواء باستكمال مسيره إلى الشام أو الرجوع إلى المدينة , فعقد عمر بن الخطاب ثلاثة اجتماعات فاجتمع أولا مع المهاجرين ثم مع الأنصار لكن هذين الاجتماعين لم ينتهيا إلى قرار حاسم؛ حيث اختلفوا في ترجيح أحدهما، فاجتمع عمر اجتماعا لثالثا مع مشيخة قريش، وهم أشراف قريش الذين دخلوا في الإسلام بعد فتح مكة، فكان رأيهم واحداً وهو الرجوع إلى المدينة تحسباً من أن يصاب الخليفة ومن معه بداء الطاعون، فقرر عمر الرجوع إلى المدينة , ويبدو أن رأي عمر كان متفقاً مع رأي مشيخة قريش بعدم دخول الشام؛ حيث إنه بعد استشارة هؤلاء واتفاقهم على هذا الرأي تحرك مباشرة نحو المدينة , ولما خالفه أبو عبيدة في هذا الرأي باعتباره فراراً من قدر الله عارضه عمر بشدة قائلاً: نفر من قدر الله إلى قدر الله بمعنى سواء دخلنا الشام أو رجعنا إلى المدينة فهذا كله قدر الله، وعاتبه على مثل هذا القول وقال: " لو غيرك قالها يا أبو عبيدة لأدبته", واطمأن عمر لصواب هذا الرأي أكثر عندما أخبره عبد الرحمن بن عوف، وكان غائباً عن هذه الاجتماعات أنه سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إذا سمعتم به بأرض قوم فلا تقدموا عليه وإذا وقع بأرض وأنتم فيها لا تخرجوا فراراً منه"(١).

والموقف الثاني: عندما أتت عمر بن الخطاب الأخبار عن انتشار الطاعون في الجيش الذي كان معسكراً في فلسطين، فقام بإرسال رسالة إلى قائد الجيش أبي

---

(١) نفسه ,ص ٥٧، ٥٨.

عبيدة بن الجراح يطلب منه القدوم إلى المدينة وذلك لاستنقاذه من الطاعون , ولكن أبا عبيدة فهم مراد عمر فطلب منه أن يعفيه من الاستجابة لذلك قائلاً: إنني " في جند من المسلمين لا أجد بنفسي رغبة عنهم فلست أريد فراقهم"(١), والحقيقة أن أبا عبيدة لم يكن راغبا بمغادرة الشام طمعاً في أن يستشهد بالطاعون –كما أسلفنا–.

وأما الموقف الثالث: لعمر فيظهر عندما أراد أن يجد حلاً لإنقاذ الجيش من الطاعون، فأرسل إلى أبي عبيدة يأمره بمغادرة المكان الذي هو فيه إلى مكان آخر(٢).

وبعد نهاية الوباء فنجد أن الخليفة عمر اتخذ عدة إجراءات لمواجهة الآثار الشرعية والإدارية والعسكرية للطاعون , فبالنسبة للآثار الشرعية فهي تتمثل بصورة رئيسية في مشكلة توزيع الإرث بين الورثة ؛ حيث اعتُبرت حالة خاصة واستثنائية لا ينطبق عليها توزيع الإرث في الحالات الطبيعية، وقد أرسل الخليفة عمر لهذه المهمة زيد بن ثابت والضحاك بن قيس ، وقد برزت إشكاليتان بسبب كثرة الوفيات وتقارب وفاتهم من بعض, الأولى: في تحديد الوسيلة في معرفة من مات أولاً، والثانية: في تحديد كيفية توزيع الإرث بين الورثة في حالة الجهالة التامة في تحديد الميت أولاً، ففيما يتعلق بالإشكالية الأولى فقد تم تحديد أسبقية الموت بين المتوارثين في بعض الحالات –إن وجدت– فوق بعضهم فـ" إذا كانت يد أحدهما ورجله على الآخر ورث الأعلى من الأسفل ولم يورث الأسفل من الأعلى"(٣)،" وذلك لأن المتوقع الجثمان الأسفل هو من مات أولاً , ثم بعد توريث الأعلى من الأسفل يأخذ مستحقي الإرث من الأحياء نصيبهم منه , ولحل الإشكالية الثانية اعتبر

---

(١) نفسه ,ص ٦٠،٦١.

(٢) نفسه, ص ٦١.

(٣) البيهقي، السنن الكبرى, ج٩، ص ٢٦٥.

الأموات جميعهم ماتوا في وقت واحد فلا إرث فيما بينهم ولكن يتم توريث الحي المستحق للإرث من الميت مباشرة ولذا قال زيد: "ورثت الأحياء الأموات ولم أورث الأموات بعضهم بعضاً" وقال الضحاك بين قيس: "أمرني –أي: عمر بن الخطاب – أن أورث الأحياء من الأموات ولا أورث الأموات بعضهم من بعض"[١] وذلك أنه لم يكن ممكنا التحقق من زمن الوفاة , وبالإضافة إلى ذلك فقد روعي في تقسيم الارث بين الأقارب الحالة "إذا كانوا –أي: الموتى– من قبل الأب سواء ، فبنوا الأم أحق وإذا كان بعضهم أقرب من بعض بأب فهم أحق بالمال"[٢].

وفي الحقيقة الخليفة عمر بن الخطاب لم يكتف فقط بإرساله متخصصين في قسمة الإرث وتوجيهاته لهم ولكن كان ذلك إجراء سريعا لاحتواء الآثار الشرعية لحين تمكنه من زيارة الشام؛ حيث كان من دوافع زيارته لبلاد الشام بعد طاعون عمواس علاج ما تبقى من حالات في توزيع الإرث التي لم يتم حسمها، فقال عمر مبيناً من أسباب زيارته: "ضاعت مواريث أهل عمواس فأبدأ بها" وذكر الطبري أن عمر بينما كان في الشام " قسم المواريث" [٣].

وكما واجه الخليفة عمر بن الخطاب الآثار الإدارية وكان أكثرها إلحاحاً وفاة والي دمشق يزيد بن أبي سفيان ووالي الأردن أبي عبيدة بن الجراح، فاتخذ عمر إجراءً سريعاً كي يتلافى هذا الخلل الإداري بتعيين ولاة بدلا عنهما ، يقول الطبري: "لما

---

(١) نفسه , ص ٢٦٤.

(٢) نفسه ,ص ٣٠٤، الدارمي عبد الله بن عبد الرحمن، سنن الدارمي(دار الكتب العلمية, ١٩٩٦)ج٢، ص ٣٦٧.

(٣) الطبري، تاريخ، ج٤، ص ٦٥.

انتهى إلى عمر مصاب أبي عبيدة ويزيد بن أبي سفيان أمر معاوية على جند دمشق وخراجها وأمر شرحبيل بن حسنة على جند الأردن وخراجها"[١].

وأما بشأن الآثار العسكرية فالطاعون لا شك قد خلّف أعدادا كبيرة من الموتى في صفوف جنود الشام ما أضعف قوة وقدرة الجيوش الإسلامية هناك على مواجهة التهديدات الرومية المحتملة على بلاد الشام؛ لذا ذكر الطبري أنه بسبب الطاعون "طمع له العدو في المسلمين وتخوفت له قلوب المسلمين"[٢](٥٠)وأمام هذا التحدي الخطير قام الخليفة عمر بن الخطاب بزيارة الشام بنفسه، وفي ذلك رسالة إلى الروم من جهة بتحرك الخلافة لمواجهة أي مخاطر محتملة من قبلهم , ولرفع معنويات المسلمين من جهة ثانية , ولذا علق المؤرخ ابن كثير على زيارة عمر للشام بالقول: "طابت قلوب المسلمين بقدومه وانقمعت الأعداء من كل جانب لمجيئه إلى الشام"[٣].

اتخذ عمر في الشام إجراءات عسكرية احترازية وإجراءات مالية لتعزيز قدرة المسلمين الدفاعية، وأما بشأن الإجراءات العسكرية فتتمثل أولا في إعادة توزيع المسلمين على أجناد الشام الخمسة– جند دمشق , جند حمص, جند قسرين , جند الأردن , جند فلسطين– لتتناسب مع احتياجات كل جند من القوة اللازمة للدفاع عنه، وثانياً حماية الثغور والفروج، وهي المداخل الحدودية التي يمكن أن يهاجم من خلالها العدو بلاد الإسلام , فقام عمر بشحنها بالقوة الكافية لمواجهة أي تحد محتمل من الروم، وثالثاً توطين دائم للجنود في بلاد الشام لتحقيق الاستقرار لهم عن طريق منحهم أراض للإقامة الدائمة فيها؛ ولذا قال عمر بن الخطاب مخاطباً

---

(١) نفسه، ص٦٢.

(٢) نفسه، ص ٦٣.

(٣) ابن كثير، البداية ، ج٧ ،ص ٧٩.

الجنود وذاكرا هذه الإجراءات بعد انتهاء زيارته للشام: "قسطنا بينكم ..منازلكم ومغازيكم فجندنا لكم الجنود وهيأنا لكم الفروج" [١].

وبشأن الإجراءات المالية التي اتخذها عمر والتي تسهم بشكل غير مباشر في تعزيز القدرة الدفاعية للمسلمين فتتمثل في توفير الاكتفاء المالي للجنود عن طريق صرف رواتب مستمرة لهم في مكان إقامتهم في بلاد الشام، وتوزيع مستحقاتهم من الفيء والغنيمة التي اكتسبوها من الفتوحات , يقول عمر: "وسعنا عليكم ما بلغ فيئكم وما قاتلتم عليه من شامكم وسمينا لكم أطماعكم وأمرنا لكم بأعطياتكم وأرزاقكم ومغانمكم"[٢](٥٣) , إن هذه الإجراءات المختلفة وفرت الحماية الكافية لبلاد الشام من اعتداءات الروم في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه , و لذا لم يقم الروم بالاعتداء على الشام بسبب الطاعون.

نهاية الطاعون:

اختلفت الروايات في تحديد الجهة التي اتخذت الإجراء المناسب للوقاية من انتشار الطاعون، فاتجهت بعض الروايات إلى أن الذي اتخذ هذا الإجراء هو الخليفة عمر بن الخطاب؛ حيث أرسل إلى أبي عبيدة بن الجراح يأمره بالتحرك نحو أرض مرتفعة ونزهة [٣] ، بينما اتجهت روايات أخرى أنه لما آلت قيادة الجيش في الشام إلى عمرو بن العاص بعد وفاة أبي عبيدة بن الجراح ثم معاذ بن جبل أمر الجيش بالتوجه نحو المناطق المرتفعة والجبال ما أدى إلى نهاية الطاعون[٤], وتوفيقاً بين

---

(١) الطبري، تاريخ، ج٤ ،ص٦٥ .

(٢) نفسه.

(٣) نفسه، ص٦١.

(٤) نفسه ، ج٤ ص ٦١، ٦٢ .

هذه الروايات فيظهر أن سياق الأحداث بدأ بأمر الخليفة عمر لأبي عبيدة بتغيير المكان لكنه توفي هو وخليفته من بعده معاذ بن جبل , فلما آل الأمر إلى عمرو أمر الجيش بالتحرك نحو الجبال تنفيذاً لأمر الخليفة أولا وفي الوقت نفسه لقناعته بصواب هذا الإجراء باعتباره الحل الأنسب للتخلص من الطاعون؛ حيث قال: "إن هذا الوجع إذا وقع فإنما يشتعل اشتعال النار فتجبلوا منه في الجبال " [١] ، ولكن سواء أكان هذا الإجراء ابتدأه عمر بن الخطاب أم مبادرة من عمرو بن العاص فإن الخليفة عمر كذلك كان يرى هذا الرأي أيضا؛ حيث لما أتاه خبر ذهاب عمرو إلى الجبال لم يكره ذلك[٢] .

وأما علاقة التحرك نحو المرتفعات ونهاية الطاعون فيظهر من رسالة عمر بن الخطاب لأبي عبيدة بن الجراح أن سبب الطاعون – كما ذكرنا – يتعلق في طبيعة المكان الذي كان معسكرا فيه الجيش [٣] ، فلما غادر الجيش هذه الأرض إلى أرض مرتفعة هواؤها نقي غير ملوث وقابل للتجدد أدى هذا إلى نهاية الطاعون .

---

(١) نفسه ،ص ٦٢.

(٢) نفسه ،ص ٦١، ٦٢، وخلافا لهذه الروايات فهناك رواية ذكرها ابن عساكر أن الذي تحرك بالجيش وأنقذه من الطاعون هو أبو عبيدة بن الجراح . انظر ابن عساكر ،دمشق،ج٢٥،ص ٤٨٤، وهي رواية غريبة لما تواتر في المصادر رفض أبو عبيدة التحرك من مكان الوباء، انظر أحمد بن حنبل الشيباني ،مسند الإمام أحمد بن حنبل (القاهرة، ١٩٩٥)ج٢، ص ٣٢٨، ابن حبان محمد بن حبان البستي ،السيرة النبوية وأخبار الخلفاء (بيروت ،١٩٨٧) ج٢،ص ١٧٧، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ،المنتظم في تاريخ الأمم والملوك(بيروت،١٩٩٢) ج٤ ، ص ٢٤٧ ،سبط ابن الجوزي يوسف بن قِزْ أُوغلي بن عبد الله ، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان(دمشق ، ٢٠١٣)ج ٥ ، ص ٢٦٦، ،ابن الأثير علي بن محمد الجزري، أسد الغابة في معرفة الصحابة(القاهرة ، ١٩٧٣)ج٣ ، ص ١٩٥.

(٣) الطبري، تاريخ، ج٤ ،ص٦١.

نتائج الدراسة

إن طاعون عمواس كان وباء خطيرًا لم تقتصر آثاره على الجانب الصحي بل أيضا على الجانب العسكري؛ حيث كاد أن يقضي على الجهود العظيمة التي أدت الى فتح الشام من أيدي الروم.

إن الإجراءات التي اتخذتها القيادة العسكرية لجيش الشام المتمثلة في عمرو بن العاص استطاعت أن تحافظ على حياة من تبقى من الجيش ما أدى إلى وجود جيش قادر على مواجهة أي تهديدات رومانية محتملة لاستعادتها من أيدي المسلمين.

إن التدابير الوقائية العسكرية والإدارية والمالية التي اتخذها الخليفة عمر بن الخطاب تمكنت من استقرار الفتح واستمرار سيطرة الدولة الإسلامية على بلاد الشام ما أدى إلى القضاء على جميع آثار طاعون عمواس.

المصادر

١- ابن الأثير علي بن محمد الجزري، أسد الغابة في معرفة الصحابة(القاهرة ، ١٩٧٣)

٢- ابن الجوزي عبد الرحمن بن علي بن محمد، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك (بيروت،١٩٩٢)

٣- ابن حبان محمد بن حبان البستي، السيرة النبوية وأخبار الخلفاء (بيروت،١٩٨٧)

٤- ابن حجر أحمد بن علي العسقلاني , بذل الماعون في فضل الطاعون(الرياض, ١٤١١) فتح الباري شرح صحيح البخاري (دار الفكر , ١٩٩٣)

٥- ابن سيده علي بن إسماعيل , المخصص في اللغة (دار الكتب العلمية)

٦- ابن أبي شيبة عبد الله بن محمد، مصنف ابن أبي شيبة(دار الفكر)

٧- ابن عبد البر يوسف بن عبد الله القرطبي، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (مؤسسة الرسالة)

٨- ابن عساكر علي بن حسن الدمشقي, تاريخ مدينة دمشق(بيروت , ١٩٩٥)

٩- ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، مختصر محمد بن مكرم بن منظور (دمشق، ١٩٨٨)

١٠- ابن منظور محمد بن مكرم، لسان العرب (القاهرة)

١١- الآبادي محمد شمس الدين ,عون المعبود شرح سنن أبي داود (دار الفكر)

١٢- الأزهري محمد بن أحمد , تهذيب اللغة (الدار المصرية)

١٣- أحمد بن حنبل الشيباني ، مسند الإمام أحمد بن حنبل (القاهرة، ١٩٩٥)

١٤- إسماعيل بن عباد , المحيط في اللغة (بيروت , ١٩٩٤)

١٥- إسماعيل بن كثير الدمشقي، البداية والنهاية (بيروت، ١٩٩٥)

١٦- البكري عبدالله بن عبد العزيز ، معجم ما استعجم(بيروت،١٩٨٣)

١٧- البيهقي أحمد بن الحسن ، السنن الكبرى (دار الفكر)

١٨- الجوهري إسماعيل بن حماد , مختار الصحاح (بيروت , ١٩٨٤)

١٩- الدارمي عبد الله بن عبد الرحمن، سنن الدارمي(دار الكتب العلمية)

٢٠- الزرقاني محمد بن عبد الباقي، شرح الزرقاني على موطأ مالك (دار الفكر)

٢١- الزمخشري محمود بن عمر ، الفائق في غريب الحديث (دار الكتب العلمية ,١٩٩٦)

٢٢- سبط ابن الجوزي يوسف بن قِزْ أُوغلي بن عبد الله ، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان(دمشق ، ٢٠١٣)

٢٣- السهيلي عبدالرحمن بن الخطيب، الروض الأنف في السيرة النبوية (دار الكتب العلمية، ١٩٩٨)

٢٤- الطبري محمد بن جرير, تاريخ الأمم والملوك (بيروت)

٢٥- الغزالي أبو حامد محمد بن محمد, إحياء علوم الدين (بيروت , ١٩٩٩)

٢٦- النووي يحيى بن شرف الحوراني , شرح النووي على صحيح مسلم (دار الفكر, ١٩٩٥) ياقوت بن عبدالله الحموي، معجم البلدان(بيروت، ١٩٧٩).